اسم المادة: اسم الله العليم

من سلسلة: الحسنى

لفضيلة الشيخ: حسن بن عبد الحميد بخاري

إنتاج فريق التفريغ بشبكة الطريق إلى الله

اسـم المادة: اسم الله العليم
من سلسلة: الحسنى
لفضيلة الشيخ: حسن بن عبد الحميد بخاري
رابط المادة: https://way2allah.com/khotab-item-151883.htm

إن معرفة أسماء الله –تعالى– وصفاته تلم شعث القلب، وتفتح للعبد آفاقًا واسعة للتلذذ بالطاعة والعبادة، وترفع حجب الغفلة والشك والإعراض، فمن كان بالله أعرف كان منه أخوف، وبحبه أقرب، وعن معصيته أبعد، وفي رجاء رحمته أطلب، وفي رجاء رحمته أطلب.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته؛ أسعد الله أوقاتكم بطاعته.
في طيات البحث عن عظمة جلال الله –سبحانه وتعالى– وتلمسها في أسمائه الحسنى وصفاته العُلى، يدهشنا اسمٌ عظيمٌ ذو صفةٍ جليلة عظيمة تقشعر لها الأبدان، صفة العلم واسم الله "العليم" –سبحانه وتعالى–، أحد أعظم أسماء الله وأكثرها ورودًا في كتاب الله الكريم، في نحو مئةٍ وسبعةٍ وخمسين موضعًا جاء اسم الله –جل جلاله– العليم –سبحانه وتعالى–، فضلاً عن تلك الآيات التي تحدثت عن علم الله، والأفعال التي تدل على عظمة علم الله –سبحانه وتعالى–. ربنا العليم الحكيم، العليم الخبير، العليم الذي وسع علمه كل شيءٍ –سبحانه وتعالى–.

عِلم الله –جل جلاله– واحدةٌ من الصفات التي تحملنا معشر العباد على مزيدٍ من الإذعان والخضوع والانكسار والخشوع والإخبات لربنا العظيم العليم –سبحانه وتعالى–. أجل؛ علم الله بلغ أعظم مما يتصوره البشر أو تدركه عقولهم، أو ما نقرأ في كتاب الله الكريم "إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ" الأعلى:٧، فالجهر والإسرار في علم الله سواء، لا بل علم الله –عز وجل– ينال أبعد من الخفاء والإسرار، وربنا –سبحانه وتعالى– يقول: "فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى" طه:٧، إن الذي أخفى من السر هو حديث النفس، هو الهمهمة، هو همسها، هو شجونها، خواطرنا، ربنا –عز وجل– يعلمها، لأنه العليم –جل في علاه–.
بلغ علم ربنا –سبحانه وتعالى– مبلغًا لا يمكن أن تدركه عقول البشر ولو اجتهدت في تصور مداه، ومن أجل ذلك كانت تلك الآيات التي تقرب لنا شيئًا من معنى عظمة علم الله –سبحانه وتعالى–، افتح أذنيك، عفوًا، افتح أبواب قلبك وأنت تسمع قول ربك –سبحانه وتعالى–: "وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ" الأنعام:٥٩، تعالى الله –سبحانه وتعالى–.
علم الله –عز وجل– صفةٌ توجب عظمة العليم –سبحانه–، سمى نفسه العليم وهو علّام الغيوب، وأحد جوانب عظمة علم الله؛ علمه بالغيب الذي تخفى عنا حجوبه ولا تدركه العقول والأبصار وسائر الحواس، عَلِم –سبحانه وتعالى– خلقه قبل أن يخلقهم، وعلِم ما هم عليه بعد خلقهم، ويعلم مصائرهم وأحوالهم ومآلات شؤونهم بعد مماتهم، يعلم –سبحانه وتعالى– ما كان، وما هو كائن، وما سيكون، وعلم –سبحانه وتعالى– ما لم يكن أن لو كان كيف سيكون تعالى الله –سبحانه وتعالى–.

أيها الكرام لعظمة علم الله –جل جلاله–، ولعظمة اسمه العليم –سبحانه وتعالى– فإنه –عز وجل– أعلى شأن العلم بين عباده ورفع قدره وخص أهله بكثيرٍ من الخصائص والعطايا والمناقب والهبات. وما عِلم البشر مجتمعًا منذ أن خلق الله آدم –عليه السلام– إلى قيام الساعة إلا كذرةٍ في هباء، قال الله –سبحانه–: "وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا" الإسراء:٨٥، وفي صحيح البخاري لما صعد موسى –عليه السلام– مع الخضر على ظهر السفينة رأيا عصفورًا على سطح البحر فنقر نقرةً أو نقرتين، قال الخضر لموسى –عليه السلام–: أرأيت علمي وعلمك فإنه ما نقص من علم الله إلا كما نقص ماء البحر من نقرة هذا العصفور.

لا تُجهد نفسك لن يبلغ تصورك ولا فكرك ولا خيالك سعة علم الله –عز وجل–، "وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا" طه:١١٠، إذا ما امتلأت الصدور أيها الكرام بعظيم علم الله –سبحانه وتعالى–، فإنه يورثنا ذلك إذعانًا وإخباتًا، يقيننا بعظيم علم الله بذواتنا، بأحوالنا، بحركاتنا، وسكناتنا، بأقوالنا، وأفعالنا، بأسر قلوبنا والله عبوديةً لربنا العليم –جل جلاله–، فإذا نحن مقبلون على ربٍ أعلم بنا من أنفسنا، وأعلم بسرائرنا ودواخلنا، بل هو –سبحانه– أعلم بحاجاتنا، وهذا من عجيب جوانب علم الله، ألست تدعو الله تسأله حاجتك؟ فربك أعلم بك منك بحاجتك، وأعلم بمقصدك من مطالبك، فإذا به يكتب لك خلاف ما طلبت وسألت ودعوت، لأنه يعلم مرادك ومقصدك ومطلبك الذي من أجله سألت، ثم إنّ علمنا أيها الكرام بعظمة علم الله في خلقه وكونه وتدبيره وعظمته في مخلوقاته يحملنا أيضًا على مزيدٍ من الافتقار إلى الله، والإيمان بأنه وحده –جل جلاله– لعلمه الذي أحاط بكل شيء هو الذي ينبغي أن يُعبد، وأن تخضع له القلوب، وأن تذل له العباد، وأن يعلم الجميع أن لنا ربًا عظيمًا عليمًا –جل في علاه–، علمه لا يدان، وتقديره وتدبيره –سبحانه وتعالى– كفيلٌ بتحقيق مصالح العباد ومرادهم.

عظِّموا ربكم يا كرام بعظمة أسمائه وصفاته، وعَظِّموه بعلمه جل جلاله، علمه الذي أحاط بكل شيء، و"وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۖ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ" البقرة:٢٥٥، عَلِم شأن الخلق، وعَلِم حوائجهم، وعَلِم مصائرهم، وعَلِم مواقعهم في الآخرة، فريق في الجنة وفريقٌ في السعير، فافزع إلى ربك الكريم، واطرق باب ربك العليم، وتوسل إليه –سبحانه وتعالى– بعلمه وقدرته، وبعظمته وحكمته أن يكفيك ما أهمك، وأن يرزقك ما تتمنى وفوق ما تتمنى، ولن تجد نفسك أكثر غنىً وأنت ملتجئٌ بباب ربك الكريم – سبحانه وتعالى–، ولن تجد نفسك إلا وأنت أكثر غنىً عند التجائك بباب الكريم وتوسلك باسمه العظيم العليم – سبحانه وتعالى–، تعالى الله جل جلاله، سبحانك ربنا ما أعلمك لا نحيط بعلمك وقد أحصيت كل شيءٍ عددًا، سبحان من علّم وقدر ورزق وخلق وهدى، وصلِّ يارب وسلم على النبي المصطفى محمدٍ وآله وصحبه وسلم.